﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾ [آل عمران: 108]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أخبرَنا بيانُ اللهِ تعالى في الآيةِ السَّابقةِ بحالِ أهلِ الإيمان ومصيرِهم؛ جاءَ سياقُ هذه الآيةِ الكريمةِ مُنْبِئًا فيها اللهُ تعالى رسولَه ﷺ بأنَّ هذه الآياتِ القرآنيَّةَ المباركةَ الَّتي حَملتْ في جَعبَتِها وَصْفَ وجوهِ المؤمنينَ والكافرين، هي حقٌّ لا مِريةَ فيه، واللهُ تعالى لا يَظلِمُ أحدًا من عبادِه.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: "أيي: الهمزةُ والياءُ والياءُ: أَصْلٌ واحدٌ، وهو النَّظَر، والآيةُ: العلامةُ، وهذه آيةٌ مَأْيَاةٌ، كقولكَ: عَلامةٌ مَعْلَمَةٌ، وأَصْلُ آيةٍ: أَأْيَةٌ، بوزنِ أَعْيَةٍ، مَهموزٌ هَمزَتَيْن، فَخُفِّفتِ الأخيرةُ فامْتدّت، وآيةُ الرَّجُلِ: شخصُه، يُقالُ: خرجَ القومُ بآيتِهم، أي: بجماعتِهم.

ومنهُ: آيةُ القرآن؛ لأنَّها جَماعةُ حُروف، والجمعُ: آيٌ، وإياةُ الشَّمْسِ ضَوْؤها، وهو من ذَاكَ؛ لأنَّه كالعلامةِ لها"[1].

2) ﴿نَتۡلُوهَا﴾: "تلو: التَّاءُ واللَّامُ والواوُ: أصلٌ واحدٌ، وهو الإتْباع، يُقالُ: تَلَوْتُهُ؛ إذا تَبِعْتُه، ومنه تلاوةُ القرآن؛ لأنَّه يُتْبِعُ آيةً بعدَ آية"[2].

3) ﴿ظُلۡمٗا﴾: ظَلَمَ: الظَّاءُ واللَّامُ والميمُ: أَصْلانِ صَحيحان، أحدُهما: خلافُ الضِّياءِ والنُّور، والآخَرُ: وَضْعُ الشَّيءِ في غير مَوْضعِهِ تَعدِّيًا.

والأَصْلُ الثَّاني: هو الَّذي يَعنينا في هذا المقام، وإنْ كان ثمَّةَ رابطٌ بينَهما، فالظُّلمُ ظلامٌ ليس فيه نورٌ؛ ولو تبصَّرَ الإنسانُ بنورِ العدلِ ما وقعَ في الظُّلم.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أيي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تلو).

فالأصلُ الثَّاني: ظَلَمَهُ يَظلِمُهُ ظُلْمًا، والأصْلُ فيه: وَضْعُ الشَّيءِ في غيرِ مَوْضعِه، والظُّلامةُ: ما تَطْلبُه من مَظْلِمَتِكَ عندَ الظَّالم.

ويُقالُ: ظَلَمْتُ فلانًا: نسبتُه إلى الظُّلم، وظَلمتُ فُلانًا: فاظَّلَمَ وانْظَلَمَ؛ إذا احْتملَ الظُّلم[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَاليُّ:

يُخبرُنا بيانُ اللهِ تعالى أنَّ تلكَ الآياتِ القرآنيَّةَ السَّابقةَ الَّتي تحدَّثتْ عن صفةِ وُجوهِ المؤمنينَ والكافرينَ ومصيرِ كلِّ فريقٍ منهما، الَّتي نزلَ بها جبريلُ عليه السلام على قلبِ رسولِ اللهِ ﷺ هي حَقٌّ وصِدْق؛ لأنَّها إخبارٌ من اللهِ تعالى، ولا أحدَ أَصْدَقُ من اللهِ قيلًا ولا حديثًا، وهي عَدْلٌ لا تَشوبُها شائبةُ أيِّ ظُلْم، ذلكَ أنَّ اللهَ ﷻ عادلٌ في أحكامِه وأفعالِه وتدبيرِه وجزائِه وحسابِه لعبادِه، حاشا أن يَظلمَ أحدًا، وهو الَّذي يأمرُ بالعَدْلِ، ويَنْهى عن الظُّلمِ ﷻ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

الإشارةُ، ووجوهُ الإعراب، والتَّعريضُ، وأثرُ ذلكَ كُلِّه في تجليةِ المعنَى وإثْرائه:

أفـــادَ نـظـمُ الـسِّـيـاق عُـلُـوَّ مكانةِ آياتِ الله المُـنَـزَّلـة عليه، وتنزيهَ اللهِ عن الظُّلم

قولُه تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ الإشارةُ في قولِه: ﴿تِلْكَ﴾ إلى الآياتِ المشتَمِلةِ على تنعيمِ الأَبْرارِ وتعذيبِ الكُفَّار، والإشارةُ للبعدِ في ﴿تِلْكَ﴾ للإيْذانِ بعُلُوِّ شأنِها وسُموِّ مكانتِها في الشَّرف، وكيف لا تكونُ، وقد أضيفتْ مع آياتِها إلى لفظِ الجلالةِ ﴿ٱللَّهِ﴾، وهي آياتُه، وهو الَّذي أَنْزَلها ﷻ؟

و﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، وقولُه تعالى: ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ خبرُه، وقولُه تعالى: ﴿نَتْلُوهَا﴾ جُملةٌ حاليَّةٌ من الآياتِ، والعاملُ فيها معنَى الإشارة، أو هي الخبرُ، و﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ بَدَلٌ من اسْمِ الإشارة.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظلم).

والالْتفاتُ إلى التَّكلُّم بنونِ العَظَمةِ في ﴿نَتْلُوهَا﴾ مع كونِ التِّلاوة على لسانِ جبريل عليه السلام لإبرازِ كمالِ العنايةِ بالتِّلاوة.

وقولُه تعالى: ﴿عَلَيْكَ﴾ مُتعلِّقٌ بـ ﴿نَتْلُوهَا﴾[1]، وتقديمُه على (الحقِّ) لإبرازِ مكانةِ المَتْلُوِّ عليه، ومزيدِ شرفِه، وهو رسولُ اللَّهِ ﷺ.

معنى الباء في قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾وموقع شبه الجملة من الإعراب:

"وقولُه تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الباءُ للمُلابَسَة، وهي مُلابسةُ الإخبارِ للمُخْبَرِ عنه، أي: لما في نَفْسِ الأمرِ والواقع"[2].

وقولُه تعالى: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: حالٌ مؤكَّدةٌ من فاعلِ ﴿نَتْلُوهَا﴾ أوْ من مفعولِه، أي: مُلْتبسين، أو التِّلاوةُ مُلْتبسةٌ بالحقِّ والعَدْل، ليس في حُكمِها شائبةُ جَوْرٍ بنقصِ ثوابِ المُحْسِن، أو بزيادَةِ عقابِ المُسيء، أوْ بالعقابِ من غيرِ جُرم، بل كلٌّ ذلكَ مُوفًّى لهم حَسْبَ اسْتحقاقِهم بأعمالِهم بمُوجِبِ الوَعْدِ والوعيد.

الدَّلالات البلاغيَّة في قوله: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾:

قولُه تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ تَذْييلٌ مُقرِّرٌ لمضمونِ ما قبلَه على أَبْلَغِ وَجْهٍ وآكَدِه، فإنَّ تنكيرَ الظُّلم، وتوجيهَ النَّفْيِ إلى إرادتِه بصيغةِ المضارعِ ﴿يُرِيدُ﴾ دونَ نَفْسِه، وتعليقَ الحكم بآحادِ الجمعِ المعروف، فالواو قد تكون عاطفة، وقد تكون حاليَّة، أي: نتلوها عليك بالحقِّ، والحال أنَّ اللَّه لا يريد ظلمًا للعباد، والتَّعبير بالمضارع في فعل الإرادة للتَّجدُّد الاستمراريِّ، ودلَّ هذا التركيب على التَّخصيص، حيث تقدَّم النَّفي على المسند إليه والمسند الفعليِّ ممَّا يدلُّ على تقوية الحكم وتوكيده، لكنَّ القرينة المعنويَّة هنا تنفي أن يكون غير اللَّه لا يريد ظلمًا للعباد، فدلَّ هذا التَّركيب بوجود هذه القرينة على أنَّ اللَّه عزَّ شأنه وحده فقط من لا يريد ظلمًا للعباد، كما هو مقرَّر في علم المعاني.

والالْتفات إلى الاسْم الجليلِ ﴿ٱللَّهُ﴾ إشعار بعلَّةِ الحكم وبيان لكمالِ تَنَزُّهِه ﷻ عن الظُّلم بما لا مَزيدَ عليه، أي: ما يُريدُ فردًا من أفرادِ الظُّلم لِفَرْدٍ من أَفْراد العالمينَ في وقْتٍ

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 1/533.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/47.

من الأوقات فضلًا عن أنْ يظلمَهم، إذ كيفَ يظلمُهم، وهو لا يحبُّ الظَّالمين ولا يَهديهم، كما قالَ تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [آل عمران: 57]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران: 86]؟ بل يدعو عليهم: ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المؤمنون: 41].

والفعلُ المضارعُ ﴿يُرِيدُ﴾ يُفيدُ الاستمرارَ في الإثبات، ويُفيدُه كذلكَ في النَّفْي بحسبِ المقام.

والجملةُ الاسْميَّةُ تدُلُّ على دوامِ الثُّبوت، وعندَ دُخولِ حرفِ النَّفْيِ عليها تدُلُّ على دوامِ الانْتفاءِ لا على انْتفاءِ الدَّوام.

وسياقُ الجملةِ القرآنيَّةِ وسَبْكُهُ على النَّحْوِ المذكور، فيه نوعُ إيْماءٍ إلى التَّعريضِ بأنَّ الكَفَرَةَ هُمُ الظَّالمون، ظلموا أَنْفُسَهم بتعريضِها للعذابِ الخالد، كما في قولِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: 44][1].

وكذلك تنكيرُ ﴿ظُلۡمًا﴾ في سياقِ النَّفْيِ يَدُلُّ على انْتفاءِ جِنْسِ الظُّلم عن أن تتعلَّق به إرادةُ اللّه تعالى، فكلُّ ما يُعدُّ ظُلمًا في مجالِ العقولِ السَّليمةِ مُنتفٍ أنَ يكونَ مرادَ اللّه سُبحانه وتعالى[2].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الآيات والدَّلائل والبيِّنات:

كلمةُ (البينات) "تَعْني: الكشفَ عن الشَّيء، وشرحَ ما هو مُجْمَل أوْ مُبْهم من الكلام"[3].

وكلمةُ (الدَّلائل) "تعني: التَّدليلَ على الشَّيءِ والتَّسْديدَ إليه ليُعلَم، وهي متعلِّقةٌ بالأقوال، وتُفيد الظَّنَّ"[4].

وأمَّا كلمةُ (الآيات)؛ "فهي العلامةُ الظَّاهرة، وتكون سببًا لإدراكِ أمرٍ آخَر، لا يَتمُّ إدراكُهُ إلَّا بوجودِها"[5].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السليم: 1/532.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/47.
(3) الرَّاغب، المفردات: (بين).
(4) العسكري، الفروق اللغوية: 97.
(5) الرَّاغب، المفردات: (أي).

وممَّا سبقَ بيانُه يتَّضح: أنَّ اسْتخدامَ البيانِ الإلهيِّ لكلمةِ (الآيات) أقومُ قيلًا فيما سيقتْ من أجلِه في حديثِ القرآنِ هنا في هذه الآيةِ الكريمةِ الَّتي تُخبرُنا عن علامةٍ ظاهرةٍ بيِّنةٍ في وُجوهِ المؤمنينَ ووُجوهِ الكافرينَ يومَ القيامة، فوجوهُ المؤمنينَ بيضاءُ نقيَّة، انعكستْ عليها إشراقاتُ الإيمانِ ونورُه المبين، فتمَّ الإدراكُ بأنَّه هو السَّبب، بينما وجوهُ الكافرينَ سَوداءُ مُظلمةٌ، كسوادِ الكُفرِ وظلامِه الَّذي رانَ على قلوبِ أصحابِه، فأدركْنا أنَّه السَّبب، وهو أمرٌ ليس فيه شرحٌ لمجمَلٍ أو مُبْهمٍ، كما هو معنَى (البيِّنات)، ولا هو أمرٌ يُفيدُ الظَّنَّ، كما هو معنَى (الدَّلائل).

فكانَ لا بُدَّ من إيراد الآياتِ في السِّياق، فهي البَلْسَمُ الشَّافي الكافي لإدراكِ حقيقةِ الإيمانِ وحقيقةِ الكفر، وعلامةِ كلٍّ منهما على أصحابه.

التِّلاوة والقِراءة:

"الفرقُ بينَهما: هو أنَّ التِّلاوةَ لا تكونُ إلَّا لكلمتَينِ فصاعدًا، والقراءةُ تكونُ للكلمةِ الواحدة، يُقالُ: قرأَ فلانٌ اسْمَه، ولا يُقالُ: تَلَا اسْمَه، وذلكَ أنَّ أصلَ التِّلاوةِ إتْباعُ الشَّيءِ الشَّيءَ، يُقالُ: تَلاهُ؛ إذا تبعَه، فتكونُ التِّلاوةُ في الكلماتِ يتبَعُ بعضُها بعضًا، ولا تكونُ في الكلمةِ الواحدة؛ إذْ لا يَصِحُّ فيها التُّلُوُّ"[1].

" وكذلكَ التِّلاوةُ تختصُّ باتِّباعِ كُتُبِ اللهِ المُنزَّلة، تارةً بالقراءةِ وتارةً بالارْتسام؛ لما فيها من أمرٍ ونَهْيٍ وترغيبٍ وترهيب، أو ما يُتوهّمُ فيه ذلك، وهي أخصُّ من القراءة، فكلُّ تلاوةٍ قراءة، وليس كلُّ قراءةٍ تلاوةً"[2].

ونَخْلُصُ من بيانِ هذه الفروقِ إلى أمرٍ واضح، جلَّى لنا فيه سياقُ النَّصِّ القرآنيِّ أحقيَّةَ استخدامِه للفعلِ (نَتْلو) بَدَلَ الفعل (نَقْرأ).

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 140.
(2) الرَّاغب، المفردات: (تلو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»